من ناقل للرسائل الى مضيف للقاء الايراني السعودي: العراق كمركز لحوار اقليمي

كاوه حسن، *عدنان طبطبائي ، ديزيري كوسترس

تظهر المباحثات الإيرانية السعودية في بغداد إمكانيات العراق كمركز للحوار الإقليمي، ولكن هذه عملية هشة ومعرضة للتقويض من قبل قوى مضادة لتحسين العلاقات.

افادت تقارير إعلامية عن حوار عقد في بغداد يوم 9 أبريل/ نيسان 2021 بين مسؤولي المخابرات والأمن السعوديون والإيرانيون. قد يبشر هذا الخبر عن تطورات إيجابية نادرة في منطقة تتسم بانعدام الثقة المتبادلة بين القوى المتنازعة، ونزاع مسلح مستمر، وحروب بالوكالة.

مع إن المسؤولين العراقيين لعبوا دور ناقل الرسائل بين الرياض وطهران من قبل، فقد توقع قليل من المحللين أن الحكومة في بغداد تستطيع، رغم كل التحديات والتشظي، أن تصبح مضيفاً لحوار مباشر بين هذين المنافسين الإقليمين. حاولت قوى إقليمية ودولية أخرى الشروع في حوار بين إيران والسعوديةولكن بلا جدوى.

ساهمت الديناميكيات الإقليمية والعراقية الداخلية، خصوصاً في السنتين الآخرتين، في هذا الإنجاز إلى نشوء 2019الدبلوماسي. بفضل الحركة الاحتجاجية الشبابية أدت التطورات في العراق منذ خريف ديناميكيات سياسية جديدة. مستجيباً لمطالبات شعبية، تعهد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي بموازنة علاقات العراق مع الدول المجاورة. الكاظمي، كونه رئيس لجهاز المخابرات العراقي سابقاً، لديه اتصالات جيدة جدا مع مؤسسات أمنية في كلا من إيران والسعودية (من بين دول أخرى كثيرة).

وفقاً لمحللين عراقيين ذات دراية جيدة، فاستطاع الكاظمي، من خلال ما يبدو جهداً منسقاً بشكل دقيق مع مستشار الأمن الوطني السيد قاسم الاعرجي ومسؤولين اخرين، أن يستغل هذه الاتصالات لعقد حوار مباشر بين وفود أمنية سعودية وإيرانية رفيع المستوى. علاقات إيران العميقة ومتعددة المستويات في العراق ما بعد 2003 معروفة منذ أكثر من عقد. وتحاول السعودية منذ عام 2014 تحسين علاقاتها مع بغداد، وتنظر حالياً أيضاً إلى العراق بانها دولة مؤهلة لاستضافة حوار أمني مع إيران حول أولويات وهموم البلدين في اليمن ودول اخرى .

ورغم التفاؤل حول إمكانيات هذه القناة الحوارية الناشئة الجديدة، إلّا أن هذه عملية هشة ومعرضة للتقويض من قبل قوى مضادة عراقية، اقليمية ودولية لتحسين العلاقات.

علاوة على ذلك، طهران والرياض سوف تنتبهان جيداً لحفظ ماء الوجه طوال هذه العملية. سرعان ما يشعر أحد الطرفين بإنه يصوّر على إنه الطرف الأضعف (أيّ الأكثر حريصاً) على طاولة الحوار، قد يوفق لعملية الحوار، أو ينسحب كلياً. ولذا، على مجتمع الدولي، والإعلاميين، والذين يعملون في مراكز الفكر على حد سواء، التعامل مع التقارير والنقاشات حول هذه القناة الحوارية بحساسية وتحفظ.

النتائج الإيجابية المحتملة لكل من السعودية والإيران واضحة. فإيران تبدو مستعدة لاستكمال إنجاز محتمل في إعادة إحياء الاتفاق النووي، المعروف باسم "خطة العمل المشتركة لشاملة الاتفاق النووي" بحوار اقليمي متزامن مع البلدان المجاورة. وتنوي السعودية البناء على الخطوات الأخيرة في المصالحة مع قطر، والتقارب مع تركيا، وإعادة علاقتها مع الحكومة السورية في دمشق من خلال حوار مع إيران حول القضايا الامنية، بينما تستطيع إيران تحقيق دعم إقليمي لإحياء الاتفاق النووي، فيمكن للسعودية أن تحصل على دعم إيراني في تخفيف هموم رياض الأمنية، على سبيل المثال في اليمن. لذا، تحسين العلاقات هي في مصلحة طهران والرياض. ورغم هذه الدوافع، فعلى الاطراف الخارجية تشجيع ودعم هذا الحوار الواعد بشكل هادئ .

العراق، على سبيل المثال، يمكن أن يستفيد بشكل كبير من تقليل التوترات بين السعودية وإيران. بعد عقود من الدكتاتورية والنزاع المسلح والأزمات الاقتصادية والسياسية الحادة، أصبحت الدولة في حاجة ماسة إلى استقرار سياسي وإنعاش اقتصادي، مصالحة وطنية واستقرار إقليمي. لوقت طويل عانى العراق من كونه مسرحاً لحروب بالوكالة.

يعتمد الدور الإيجابي والبناء الذي يقوم به مسؤولون عراقيون حالياً على رغبة القادة العراقيون المستمرة في الوصول الى اتفاق وتوافق داخلي حول سياسة خارجية مستقلة وعلاقات متوازنة مع إيران والسعودية إلى الدرجة التي تقبل طهران والرياض العراق طرفاً محايداً لاستضافة الاجتماعات. الخبر السار ان هذا هو الحال الآن. ينبغي الإشادة بالنخبة العراقية لأنها استطاعت لعب هذا الدور كمضيف للحوار، وفي نفس الوقت هناك حاجة ملحة لدعم العراق للانتقال الى دور الوسيط. برغم الصعوبات، فان فرص القيام بدور الوسيط ليست منعدمة بالكامل. منذ العام 2019، قام برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، في مركز ستيمسون أوروبا في بروكسل (ستيمسون)، بتعاون مع مركز البحوث التطبيقية بالشراكة مع الشرق ("كاربو" CARPO) الموجود في ألمانيا، بتنفيذ مشروعهما "العراق وجيرانه تحسين الحوار والاندماج الإقليمي في غرب آسيا" الممول من الإتحاد الأوروبي. عبر هذه المبادرة للحوار الإقليمي على المسار الثاني او الدبلوماسية

الغير رسمية، التي تنظر للعراق كمركز للحوار والتعاون الاقليمي، قدّم خبراء من العراق، والسعودية، وإيران، والاردن، والكويت، وتركيا، أفكار عملية للتعاون في مجالات الطاقة، والنقل، والتجارة، والتغير المناخي. بالإضافة إلى ذلك، تنفذ (ستيمسون) و (كاربو) منذ سنة 2015 مشروع .حوار بين إيران والسعودية المهم في هذين المشروعين انه برغم النزاع بين الايران والسعودية هناك امكانية لتطوير افكار للتعاون في مجالات مختلفة وتحديد الجهات الفاعلة لتفنيد هذه الافكار عندما يقرر قادة البلدين انه حان الوقت لتحسين العلاقات.

الرابط إلى المقالة على موقعستيمسون (باللغة الإنكليزية)

* **كاوه حسن،** المدير التنفيذي لستيمسون أوروبا وباحث رئيسي ومدير برنامج مركز ستيمسون للشرق الأوسط وشمال إفريقيا. **عدنان طباطبائي،** المدير التنفيذي في كاربو. **ديزيريه كوستيرس،** مساعدة أبحاث برنامج مركز ستيمسون للشرق الأوسط وشمال افريقيا